

## كتابات الدكتور نصرت مردان

### لعنة النفط تلاحق شمال العراق

في كتب التاريخ من الممكن أن نعثر على صفحات تقودنا إلى خيوط التآمر التي قاد وطننا إلى المآسي التي نعاني منها حتى الآن، واليكم واحدة من تلك الوقائع: يستقبل السلطان العثماني السفير البريطاني بناء على طلب هذا الأخير. الطلب الذي يطلبه السفير من السلطان بريء في ظاهره، ولا ينطوي على أية نية سيئة. فهو لا يطلب إلا موافقة السلطان عبدالحميد، على إجراء تنقيبات بمنطقة الموصل للكشف عن الآثار فخارية واللقى ذات القيمة التاريخية، لا لشيء إلا لخدمة تاريخ المنطقة، وأن علماء التنقيب سيتركون كل ما يجدونه للدولة العثمانية .

يوافق السلطان العثماني على هذا الطلب لأنه كان يتطلع إلى تطوير علاقاته مع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. ويورد في يومياته السطور التالية:

"تظاهرت بأني أصدق مزاعم السفير البريطاني، وكانت ثمة معلومات قد وصلت لي حول العثور على النفط في رومانيا. لذلك كلفت الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بمراقبة التنقيبات في ولاية الموصل .

طال أمد التنقيبات وبدأت تردني معلومات عن قيام المنقبين بحفر آبار كثيرة حول الموصل .

في يوم حضر إلي السفير البريطاني لمقابلتي لأمر عاجل وهام. كان يحمل معه سيفاً ذهبياً مكسوراً من الذهب الخاص، قدمه هدية لي مدعياً أنه قد تم العثور على السيف أثناء التنقيبات في الموصل." ويكشف السلطان العثماني عبدالحميد الثاني في رواية هذه الحادثة المثيرة في مذكراته، مشيراً إلى قيامه بعرض السيف الذهبي المكسور على الصاغة، حيث أكدوا له جميعهم، أن السيف ليس أثراً تاريخياً قديماً، بل تم تصنيعه بمهارة وحذافة بشكل يبدو وكأنه أثري وقديم. ويواصل السلطان العثماني حديثه في مذكراته :

"فهمت أن مزاعم الإنكليز حول البحث عن الآثار الفخارية التاريخية، ليست حقيقية، وإن هدفهم الحقيقي هو النفط. فقامت بالسيطرة على كل الآبار التي قاموا بحفرها على طول طريق الموصل وبغداد "

بعد الإنكليز تتقدم ألمانيا بطلب للسلطان العثماني حول إجراء تنقيبات عن الآثار التاريخية في الموصل. يوافق السلطان على طلب ألمانيا بسبب علاقاته الوثيقة مع الإمبراطور الألماني. وبهدف معرفة السبب الحقيقي للطلب الألماني يبعث بياوره الخاص (صلاح الدين أفندي) إلى الموصل للإطلاع عن كثب على عمليات التنقيب. يقول السلطان عبدالحميد في مذكراته:

" لو إن الإمبراطور الألماني، أفصح عن نيته الحقيقية من التنقيبات في الموصل لوافقت أيضاً. وكنت سأعرض عليه تقاسم النفط المكتشف معهم. إن إرسال جواسيس إلى المنطقة بحجة التنقيب عن الآثار

التاريخية، يكشف عن حقيقة نظرتهم للعثمانيين. لم أمانع رغم معرفتي بحقيقة النوايا الألمانية. فقد كنت أخطط ان بمنحهم اللقى الفخارية، ونأخذ نحن النفط المستخرج".

وبهدف الحصول على التقنية الخاصة باكتشاف النفط، يقوم عبد الحميد بإرسال مرافقه الخاص (صلاح الدين أفندي) إلى أمريكا ليعرض عليهم مشروع التنقيب عن النفط إلا أن أمريكا، لم تهتم بعرض السلطان العثماني لأنها كانت تملك آنذاك فائضا هائلا من النفط أكثر من حاجاتها الاستهلاكية .

أمام هذا التطور يقدم السلطان العثماني على تسجيل الآبار النفطية التي اكتشفها الإنكليز والألمان باسمه، كملكية خاصة. في انتظار الفرصة المناسبة لاستخراج النفط، وإبعاد المنطقة من مطامع الدول الأجنبية .

عند قيام حزب الاتحاد والترقي بانقلابه ضد السلطان عبد الحميد، يرغمه الانقلابيون على التنازل عن ملكية آبار النفط تلك، وتنازله عنها لصالح وزارة المالية. وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، يقرر الحلفاء ان كل ممتلكاتها، أصبحت عائدة للدول الجديدة، التي تشكلت في المنطقة .

أجل ان معظم المصائب التي حلت ولا تزال بشمال وطننا الحبيب كانت من أجل لعنة النفط. ترى لو تحقق دعاء ذلك الرجل الأمي، الذي سمعته بأذني وهو يطلب من رب العالمين، أن يجفف في ليلة واحدة، كافة آبار النفط في الموصل وكركوك من شمالنا العزيز. لو تحقق الدعاء الحار لهذا العراقي المحب لوطنه فعلا، والذي لا يهدف إلا أن يعيش بأمان وسلام في أرضه مثل سائر البشر. هل كان شعبنا وأهلنا سيعيشون في هذه البقعة، كل هذه المآسي والدسائس الدولية؟

من كان سيطالب بالموصل العزيزة وكركوك الخالدة، وكأنهما ميراث مشروع لهم؟! ألم نكن سنعيش في شمالنا الحبيب في أمن وسلام، لولا لعنة النفط الذي لم يحمل لنا غير الخراب والدمار حتى الآن، بدلا من الأمن والأمان والرخاء؟



## اللغات : مصدر للفكر والعواطف

أين هو مصدر اللغات الهندو أوروبية ، أي لغة هي ؟ سؤال يشغل الأذهان . ماهي أهميته بالنسبة للأتراك الذين اختاروا آسيا الصغرى وطننا لهم ؟

إلى سنوات قريبة كان الأكاديميون من المؤرخين ،يعتقدون ان السهوب الروسية ،هي مصدر اللغات الهندو أوروبية ،وكانوا يحاولون إيجاد الشبه بين اللغات الأوربية وبين اللغات الفارسية والهندية .

حسب هذه النظرية فان قوما غير معروفين ،كانوا يعيشون في سهول أوركاتبيا ،احتلوا الهند ،وبذلك ساهموا في نقل اللغات الهندية إلى عائلة اللغات الأوربية . اللغات الهندو أوروبية ،لم تنتشر من السهول الروسية بل انطلقت من آسيا الصغرى ففي أثناء انتشار الثورة الزراعية ،قام المزارعون في آسيا الصغرى بالانتقال مع أدواتهم الزراعية ولغاتهم من البلقان إلى أوربا . ،ومن مراعي إيران إلى وادي الأندلس والهند . حيث بدأت لغة الآباء المشتركة بالتفاعل مع اللغات المحلية واللغات المنتشرة في هذه المناطق .

نشأت نتيجة عملية التفاعل هذه عائلة اللغات الأوربية . أما بالنسبة للغة الحيثية التي تعتبر لغة هندو أوروبية ، فلم تنتقل إلى هناك لأنها أساسا كانت تتحدث بلغات آسيا الصغرى . وبذلك تحقق التشابه بين اللغات الشرقية والغربية . ورغم مرور أكثر من عقد فلم يتم حتى الآن تنفيذ هذه النظرية.

وإذا كانت هذه النظرية صحيحة ( وهو ما يبدو كذلك حتى الآن) فان كل المجتمعات التي كل المجتمعات اعتبارا من المجتمع الحيثي إلى البيزنطي وآسيا الصغرى ، لم تكن تتحدث بنفس اللغات إلا أنها كانت تتحدث بلغات تلتقي في نفس الأصول باستثناء العربية والتركية. فالعربية كانت لغة الشرق الأوسط ،أما التركية فإنها أصل لغة آلتاي (لغة آسيا الوسطى) .

لقد سيطرت القبائل التركية على بلاد سادات فيها اللغات اللاتينية والأرمنية والهندية والفارسية والعربية ، حيث فتحوا عالما غريبا عنهم لغويا وثقافيا واجتماعيا . وقد انضمت التركية إلى اللغات المنتشرة في تلك البقاع ،فأصبحت من ضمن اللغات السائدة فيها .

لقد خضعت التركية دون شك لتأثيرات لغات المناطق التي خضعت لسيادتها، فتغيرت وتطورت وازدهرت ،ولكن دون أن تفقد هويتها . وبحكم المعاشة ،فاللغة التركية استفادت، واستفادت منها تلك اللغات المحلية التي عاشت معها . فالتركية كما حملت معها آثار آسيا الوسطى التي أصبحت تركية، فإنها حملت كذلك بصمات سكان الأناضول الذين أصبحوا أتراكا .

اللغة التركمانية التي تعتبر إحدى لهجات اللغة التركية اليوم تجد ماضيها وذكرياتها النابضة إلى تمتد إلى ما قبل الآف الأعوام ، في لغتها التي تشكل إحدى مقومات هويتها المعاصرة وكيانها الثقافي.

سئل المفكر الصيني كونفوشيوس يوما:

– لو فوض إليك إدارة الدولة ، ما هي الخطوة الأولى التي ستتخذها ؟

رد الحكيم كونفوشيوس:

– قبل كل شيء أبدأ بإصلاح اللغة ، فالكلمات لا يمكن أن تعبر عن الفكر إذا لم تكن اللغة سليمة ولا يمكن للدولة الإيفاء بدونها بمسؤولياتها . وحينما لا يمكن الإيفاء بالمهام والمسؤوليات المطلوبة ، فان اللغة والثقافة تتعرضان إلى الفساد . وبسبب هذا الفساد لا تتحقق العدالة . وعندما لا تتحقق العدالة فان الشعب سيعاني من الإنهاك وقلة الحيلة .

مادام حديثنا ينحصر حول اللغة ، يكفي تركمان العراق فخرا حرصهم على لغتهم الجميلة رغم القمع والاضطهاد في عهد كل الحكومات التي توالى على حكم العراق .



## أذربيجان من الدولة الصفوية إلى الاحتلال الروسي – الأرمني

لم يكن المذهب الشيعي منتشرًا في إيران حتى قيام إسماعيل الصفوي بإنشاء الدولة الصفوية ، حيث أصبح التشيع مذهبًا رسميًا للدولة الصفوية . بدأت السلالة الصفوية في القرن الرابع عشر الميلادي . بعد استقرار الشيخ صفي الدين إسحاق بمدينة أردبيل في أذربيجان الجنوبية في إيران . ورغم أصوله التركية ادعى أنه أحد أحفاد السلالة السابعة للإمام رضا . وقد واجه حفيده الشيخ جنيد بسبب زيادة نفوذه بين الأتراك اضطهادًا من حاكم دولة (قره قويونلو ) جهان شاه مما اضطر للجوء إلى (اوزون حسن ) بمنطقة ديار بكر . كانت دولة القره قويونلو التي اتسعت حدودها في الأناضول الشرقية وأذربيجان وإيران والعراق في أوج ازدهارها بعد أن اختار جهان شاه ، تبريز عاصمة لدولته . تزوج الشيخ جنيد من اخت اوزون حسن الذي الحق الهزيمة بدولة (قره قويونلو) في عام 1469 . حيث زوج ابنته من ابن اخته الشيخ حيدر . وكان الشاه إسماعيل الصفوي ثمرًا لهذا الزواج . بعد وفاة اوزون حسن بدأ طموح الشيخ حيدر للسلطة بالظهور . وبدأ بالدعاية للحركة الصفوية – وهي حركة صوفية تركمانية تحولت إلى التشيع الأمر الذي أدى إلى سحق يعقوب ابن اوزون حسن وإلى قيامه باغتياله وقد اضطر أولاده للعودة إلى أردبيل موطن آبائهم . لكن يعقوب تمكن من قتل اثنين من أبناء حيدر مما أرغم أصغر أبنائه الشاه إسماعيل للهرب من أذربيجان إلى أرزنجان . حيث بدأ مؤيدوه يتجمعون حوله وبفضل هذا التأييد الشعبي بدأ بوضع أسس الدولة الصفوية ، بعد أن التف على فكرة ( النقية والانتظار ) ، حيث ادعى ذات يوم أنه أخذ إجازة من ( صاحب الزمان : المهدي المنتظر ) بالثورة والخروج ضد دولة آق قويونلو التركمانية أيضا التي كانت تحكم إيران . كما ادعى أنه شاهد الإمام علي (ع) في المنام ، وأنه حثه على إقامة الدولة الشيعية التي تمكن من تأسيسها بعد سقوط دولة (قره قويونلو ) . وكانت أناضول الشرقية وأذربيجان عماد هذه الدولة .

ولد الشاه إسماعيل الذي يعتبر مؤسس الدولة الصفوية في 1487 . أبوه هو الشيخ حيدر الذي توفي في الحرب التي خاضها ضد فروح يسار حاكم شيروان وحاكم دولة قره قويونلو يعقوب بك الذي هب لمساعدة الأول . بعد قضاء ستة أعوام رهن الاعتقال قام في 1500 بتنظيم حملة ضد فروح يسار للتأثر منه . استطاع احتلال باكو ، كما تمكن من إلحاق الهزيمة بحاكم قره قويونلو عام 1502 على مشارف ناخجوان ، واحتل جزءًا من مملكته . توجه منها إلى تبريز حيث لبس التاج ونال لقب " الشاه " . احتل بعد قضاء موسم الشتاء أرجيس وبتليس والبستان كما احتل أرض فارس والعراق و تمكن من توسيع حدود مملكته . حيث أصبح في مواجهة عدوين لدودين ، الأوزبكيون في الشرق ، والعثمانيون في الغرب . ويهدف إسقاط الدولة العثمانية ، استغل فترة الصراع القائم على السلطة بين الأمراء العثمانيين ، فبعث نور علي ، رسولا عنه إلى الأناضول ومع الفرسان التركمان دخل مدينة طوقات حيث تم فيها

إلقاء خطبة باسمه . كما قاد شاه قولي ، حركة عصيان في أنطاليا . مع وصول السلطان سليم للسلطة انتهى عهد الصراع بين الأمراء على السلطة . حيث قاد حملة ضد مؤيدي الشاه إسماعيل في الأناضول . كما تمكن في 23 آب 1515 من إلحاق الهزيمة بالشاه إسماعيل في سهل جالديران . وقد فقد الشاه إسماعيل على اثر هذه الهزيمة قوته السابقة ، حيث أمضى بقية عمره في مدن مختلفة حتى وفاته في 1524 حيث دفن إلى جوار الشيخ صفي الدين بمدينة اردبيل . ويعتبر الشاه إسماعيل الذي كتب قصائده التركمانية باسم ( خطائي ) من أبرز شعراء الصوفية في الشعر التركي .

مع ازدياد قوة الدولة الصفوية وتوغلها حتى أواسط منطقة الأناضول بدأ الصراع العثماني – الصفوي ولم يكن صراعا مذهبيا في حقيقة الأمر ، بل صراعا بين الاخوة تماما كالصراع بين دولتي ( قره قويونلو و آق قويونلو ) التركمانيتين . وبدأت شرارة هذا الصراع بلجوء شقيق السلطان ياووز سليم ، الأمير أحمد مع اثنين من أبنائه إلى الشاه إسماعيل الصفوي ، ورفض الشاه إعادتهما للسلطان العثماني . ونتيجة لذلك بدأ السلطان سليم بالتنكيل بأنصار الشاه إسماعيل في الأناضول . واعتبر الشاه إسماعيل ذلك سببا لإعلان الحرب على السلطان العثماني رغم أن الدولتين كانتا تتنافسان على إظهار محبتهم لآل البيت . وقد تمكنت الدولة العثمانية بعد انتصارها في معركة (جالديران) 1504 ودخول تبريز ، من ترسيخ سلطاتها على منطقة الأناضول الشرقية التي ظلت متأرجحة الولاء فترة من الزمن . ومن نتائج تلك المعركة أنها أدت إلى انفصال الأناضول عن أذربيجان نتيجة النزاعات المستمرة .

التنافس العثماني

استمرت الصراعات لضم أجزاء مهمة من الأراضي الأذربيجانية نتيجة الحملات التي قادها السلطان سليمان القانوني على أراضي الدولة الصفوية ، حيث تمكن من ضم كل من ناخچوان و اريفان و قره باغ وبموجب اتفاقية بين الجانبين تم إلحاق تبريز بالسيادة العثمانية . وفي عام 1639 تم التوقيع على اتفاقية (قصر شيرين ) تم بموجبها رسم حدود إيران الحالية تقريبا . وكان قد تم بموجب اتفاقية استانبول في 1590 إلحاق ( قره باغ ) و (كنجه) بالسيادة العثمانية لكن التهديدات الروسية ضد إيران ما لبثت أن نتجت عن تقسيم أذربيجان .

#### الصراع الإيراني – الروسي

تمكن الصفويون خلال حكم نادر شاه والقاجاريون من استرداد قوتهم من تكوين كيانات شبه مستقلة (إمارات ) . لكنهم لم يتمكنوا من توحيد هذه الإمارات تحت راية واحدة . لذلك أصبحت أذربيجان منقسمة إلى عشرات الإمارات . كانت إيران في تلك الفترة تمثل فسيفساء للأثنيات المختلفة لكنها إداريا كانت تعتمد على كونفدرالية من عشائر و خانات معينة .

لقد جاء الاهتمام بالمذهب الشيعي والثقافة الفارسية لضرورة توحيد هذه الكيانات في بودقة واحدة لكن الأوضاع بدأت تتطور لصالح روسيا في قفقاسيا الشمالية والتي بدأت مناطق نفوذها تمتد حتى



حدود جورجيا .وقد دخلت هذه المنطقة تحت النفوذ الروسي في 1783 . إلا أن إيران أعلنت أن جورجيا تقع ضمن أراضيها وبسبب ذلك أعلنت الحرب ضد روسيا والتي انتهت باحتلال الروس لمدينة باكو ( عاصمة أذربيجان الشمالية حاليا ) كما تم احتلال شيروان وشكي ودريندي .

على ضوء هذه التطورات اتخذت كل من بريطانيا وفرنسا موقف التأييد لإيران وذلك لضمان كسبها إلى جانبها ضد روسيا . وكان هدف بريطانيا من ذلك هو ضمان وضعها في الهند ، بينما كان هدف فرنسا هو ممارسة الضغط على منافستها في أوروبا . بعد التوقيع على معاهدة تيلست بين فرنسا وروسيا ، قامت بريطانيا بدعم إيران عسكريا .

انتهت الحرب الإيرانية – الروسية في 1812 بهزيمة إيران والتوقيع على معاهدة كولستان وبموجبها دخلت أذربيجان الشمالية باستثناء (اريفان) و(ناخجوان) تحت السيادة الروسية . وقد ساهم وجود الإمارات القائمة في الأراضي الأذربيجانية في سهولة توغل روسيا فيها . وبهدف جعل بحر الخزر في الشرق ، ونهر آراز في الجنوب

كحدود طبيعية بينها وبين إيران ، تم منح صلاحيات واسعة للإمارات القائمة ، واعترف بمبدأ الوراثة فيها كأساس للحكم . في 1804 أعلن أمير منطقة (كنجة) عن رفضه المطالب الروسية ، وظل يقاتل الروس ببسالة حتى مقتله .

كانت الكيانات المتمثلة بالخانات ( الإمارات ) تفسح المجال أمام روسيا لتحقيق مطامعها التوسعية مثل حق السيادة على أذربيجان . وكانت إيران ترفض الادعاءات الروسية بالسيادة على أراضي أذربيجان الشمالية على اعتبار أن هذه الأراضي كانت مستقلة قبل الاحتلال الروسي . وقد دخلت إيران ، أذربيجان الشمالية في 1826 لحماية مصالح الإمارات القائمة فيها . لكن الأمور تطورت سلبا بعد الاحتلال الروسي لتبريز . وبموجب معاهدة (توركمن چاي ) 1828 احتلت روسيا اريفان وناخجوان وارودباد .

#### بداية النفوذ الروسي

في البداية شكل الروس في أذربيجان الشمالية إدارة تقليدية بتقسيمها إلى سبع ولايات تدار من قبل قادة عسكريين . وقد تم اعتبار اللغة الفارسية لغة المحاكم الشرعية . في 1845 تم استحداث منصب المحافظ العام لعموم قفقاسيا . وفي 1846 قسمت قفقاسيا الجنوبية بشكل عام إلى أربع مناطق . وفي 1867 تم استحداث منطقة إدارية سميت ( مقاطعة قفقاسيا الشرقية ) حيث تم بموجبها تقسيم السكان بحيث أصبح الأذربيون الذين يقطنون خارج باكو (عاصمة أذربيجان الحالية ) ومدينة (كنجه ) التي تغير اسمها إلى ( اليزافاتبول ) مجرد أقليات سكانية في أرمينيا وجورجيا .

بدأت عملية (ترويس ) المنطقة بإرسال مجموعات من الروس إليها بحجة أنهم إداريون وخبراء . كما تم في 1890 تشجيع هجرة الروس إلى المناطق الزراعية الخصبة بغية (ترويسها ) . تم تمثيل

المسلمين في المجلس البلدي (الدوما) بشكل محدود. ولم يتجاوز صوت الأعضاء المسلمين في تلك المجالس ثلث الأصوات في أحسن الأحوال. في عام 1859 اكتسبت باكو طابع المدينة الصناعية وذلك بعد إنشاء مصافي النفطية فيها. حيث بدأت روسيا بتشغيل الروس والأرمن بشكل عام في المناصب المهمة. ورغم تواضع نسبة الأذربيجانيين في القطاع الصناعي وخاصة في صناعة السجاد ونتاج الحرير إلا أنهم تمكنوا من احتلال مراكز مهمة في التجارة والنقل عبر بحر الخزر.

ميلاد التيار القومي في أذربيجان

قام الكاتب الأذربيجاني فاتح علي أخوندزاده (1812 – 1878) بكتابة نصوص مسرحية اجتماعية بهدف التنوير والتثقيف، ويهدف جعل اللغة التركية لغة الأدب. كان ضد التعصب الديني. وكان يدرك ويعي أن الانقسام المذهبي يشكل أهم العوائق أمام الهوية الثقافية لأذربيجان. إلا أن تمرد ضد الدين قاده فيما بعد إلى الإلحاد لكن تأثيره على أبناء جيله كان قويا وحاسما. في عام 1875 أصدر حسن بك زردبادي أول صحيفة باللغة التركية. وقد قابل المتعصبون للغة الفارسية هذه الخطوة بردود واسعة، معبرين عن دهشتهم في اعتبار اللغة التركية لغة أدبية. في البداية أيدت الحكومة الروسية هذه الخطوة على اعتبار أنها ستساهم في إضعاف الصلات مع إيران. إلا أنها سرعان ما أغلقت تلك الصحيفة في 1877 بسبب تعاطف زردبادي مع العثمانيين.

وحدة في اللغة والفكر والعمل

اتهم الأذربيجانيون مثقفهم الذين درسوا في المدارس الروسية، وتعلموا الروسية، وتولوا مناصب حديثة بأنهم يخدمون سياسة ترويس الشعب الأذربيجاني. ولحل إشكالية رفض التعليم في المدارس الروسية، ظهر تيار إصلاحى باسم (جديدچليك – التجديدية) يدعو إلى تحديث البرامج التعليمية، واعتبار اللغة التركية لغة التعليم. وقد لاقت هذه الدعوة استجابة واسعة من قبل كل الشعوب الناطقة بالتركية في قفقاسيا. مما خلق شعورا بضرورة التأكيد على وحدة اللغة والثقافة. وقد أثمر هذا الشعور عن قيام إسماعيل كاسبرالي وهو من أتراك القرم، بإصدار صحيفة (ترجمان) في 1883 تحت شعار (وحدة اللغة والفكر والعمل) كما قام حسين زادة علي بك وهو من ابرز دعاة القومية بإصدار صحيفة (الحياة) بمدينة باكو وذلك في 1905.

وتحت تأثير ثورة 1905 قام الأتراك في روسيا بتشكيل حزب (اتحاد مسلمي روسيا) بزعامة علي مردان بك

وقد أعلن الحزب في بياناته، أنه لا يمكن تحقيق التقدم والتضامن في ظل النظام الروسي. وبذلك كشف الحزب عن نزعة الراديكالية القومية. وهو ما سيشكل أيديولوجية حزب المساواة (مساوات پارتييسي) الذي أسس دولة أذربيجان فيما بعد.

من مفهوم الأمة إلى مفهوم القومية

احتل الإسلاميون إلى جانب الراديكاليين والقوميين مواقعهم في الحياة السياسية لأذربيجان . وكان التكتل الراديكالي على اتصال وثيق مع حزب العمال الديمقراطي الروسي مع الحفاظ على استقلاليتهم . شكلت الجماعة المشرفة على صحيفة ( همت ) في 1912 حزب المساواة . ورغم أنه رفع شعار الأمة الإسلامية في برنامجه ، إلا أنه وبتأثير بعض الكتاب ومنهم رسول زاده محمد أمين . تم تغيير مبدأ القومية بدل الأمة ، مع التأكيد أن ( التضامن الاجتماعي ، العدالة الاجتماعية والاستقلال السياسي ) هو شعار الحزب .

عند نجاح البلاشفة في إسقاط حكومة كرنيسكي في تشرين 1917 أبان الحرب العالمية الأولى ، رفضت المجالس الشعبية الاعتراف بقوميسارية قفقاسيا الجنوبية . وعند انعقاد المجلس التأسيسي للبلاشفة في 5 كانون الثاني 1918 تم تشكيل برلمان يضم شعوب ترانسقفقاسيا الثلاثة الأذربيجاني والجيورجي والأرمني في 10 شباط 1918 . وأعرّب المناشفة الجيورجيين والطاشناق الأرمن عن عدم رغبتهم في الاستقلال عن روسيا . وأمام تهديدات الطاشناق الأرمن المتحالفين مع البلاشفة في باكو ، هدد حزب المساواة بإعلان الاستقلال.

عند تشكيل جمهورية فدرالية في 22 نيسان 1918 برئاسة الجيورجي جنكلي ليتوفسكي « تم إجراء مباحثات السلام مع العثمانيين الذين رفضوا الموافقة على شروطه حول ضرورة إشراف كل من ألمانيا و استراليا والمجر على المباحثات . وفي الوقت الذي كان فيه الجيورجيين والأرمن يحاولون الحصول على دعم ألمانيا لموقفهم . كان الأذربيجانيون يرون في موقف الدولة العثمانية عنصر مؤازرة بالنسبة لهم . وكان البلاشفة الذين كانوا يحتلون باكو يهدفون إلى توسيع نفوذهم في الأراضي الأذربيجانية لذلك كانوا يقومون بدعم تحرك الأرمن في قره باغ

وبإيعاز من ألمانيا انسحبت جورجيا من الحكومة الفدرالية بسبب مخاوفها من انتقال آبار النفط في باكو إلى يد الأتراك . وفي 26 مايس 1918 تم اتخاذ قرار بإلغاء جمهورية ترانسقفقاسيا حيث شكل الأذربيجانيون على أثره مجلسا للشورى في 28 مايس 1918 والذي اتخذ قرارا بإعلان جمهورية أذربيجان المستقلة . وقد تحرك على اثر هذا القرار قوات من الجيش العثماني بقيادة نوري باشا لدعم الجمهورية الفتية ، ومواجهة التهديدات البلشفية.

في 10 حزيران 1918 تعرض مقر القائد العثماني إلى هجوم مسلح من قبل 13 ألف أرمني بقيادة البلاشفة . وقد تمكن نوري باشا من صد الهجوم والانتصار على البلاشفة ومطاردتهم حتى باكو . وعلى أثر ذلك طلبت ألمانيا من القوات العثمانية إيقاف تقدمها . وأعلن رسول زاده استنكاره لاستمرار الاحتلال الروسي لباكو العاصمة الطبيعية لأذربيجان . وفي 9 - 17 آب بعث الإنكليز بوحدات عسكرية إلى باكو وذلك على اثر حدوث تغييرات في إدارة الحكم بباكو بعد انتزاع اليمين الديمقراطي الاجتماعي الإدارة من أيدي البلاشفة . وعندما أحست ألمانيا أن ميزان القوى هناك قد تخلخت ، تخلت عن

معارضتها لدخول القوات العثمانية إلى باكو . وأشعلت الضوء الأخضر أمام الجيش العثماني . وهكذا دخلت القوات العثمانية باكو في 16 أيلول 1918 بقيادة نوري باشا « الذي أعلن أن تدخل قواته حدث بطلب من الحكومة الأذربيجانية . لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا . فقد اضطرت القوات العثمانية إلى الانسحاب في 30 تشرين الأول بموجب معاهدة موندروس . فكان أن دخلت القوات البريطانية باكو على أثرها ، وظلت فيها حتى شهر آب 1919 . وفي 15 كانون الثاني 1920 اعترفت دول التحالف بجمهورية أذربيجان التي ظلت تصد الهجمات الأرمنية على قره باغ .

### الاحتلال الأرمني

استغل الأرمن فرصة الفراغ الأمني عقب التوقيع على الهدنة فقاموا باحتلال كومرو وقارص من جديد . وقد أدى نشوب حرب التحرير التركية بقيادة مصطفى كمال إلى إيقاف هجمات الأرمن في 1920 على الجبهة الشرقية بقيادة الجنرال كاظم قره بكر . حيث تم استعادة صاري قامش وقارص وكومرو من الأرمن . وبدعم من الضباط الأتراك ، قام الشيوعيون الأذربيجانيون بإقامة النظام السوفيتي . وقد ظن الأذربيجانيون ، أن ذلك سيدفع بالجيش الأحمر لنجدة تركيا التي كانت تقاوم قوات الاحتلال الأجنبي بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى . في نيسان 1920 احتل الجيش الأحمر أذربيجان ، و استسلمت الحكومة الأذربيجانية لإدارة البلاشفة . وتم في نفس الشهر إعلان جمهورية أذربيجان الاشتراكية التي انضمت إلى جمهورية قفقاسيا الاتحادية الاشتراكية . في 1936 وبموجب الدستور السوفيتي أصبحت أذربيجان جمهورية من جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية .

في 2 نيسان 1920 تمكنت تركيا بموجب معاهدة كومرو من فرض حمايتها على ناخچوان ، واقناع الأرمن بذلك . في 3 تشرين الثاني استولى البلاشفة على الأوضاع في أرمينيا ، وأعلنوا عدم اعترافهم بأحكام المعاهدة التي وقعوا عليها مع تركيا . لكن حكومة أنقرة تمكنت وبموجب اتفاق مع موسكو في 21 آذار 1921 من اعتبار ناخچوان منطقة للحكم الذاتي ضمن السيادة الأذربيجانية . وبموجب هذه الاتفاقية اعترفت موسكو بالحدود التركية – الأرمنية . وعلى ضوء اتفاقية قارص بين الاتحاد السوفيتي وأرمينيا ، اعترفت أرمينيا بالحدود التي تم تحديدها بموجب معاهدة قارص الأنفة الذكر ، والتي تضمنت أيضا السيادة الأذربيجانية على ناخچوان

عقب تقسيم أذربيجان في 1828 بين روسيا وإيران أنشئت مستوطنة للأرمن فوق الأراضي التابعة لإمارتي أريفان وناخچوان من قبل القيصر الروسي نيقولا . حيث تم توطين 125 ألف أرمني من أرمن الإمبراطورية العثمانية والروسية . واستمرت روسيا التي كانت تطمح إلى توسيع نفوذها في المنطقة إلى تشجيع الأرمن للسكن في هذه المنطقة . حيث تشكلت منذ تلك الفترة مجموعات عرقية تحلم وتخطط لأرمينيا الكبرى ، وتشكل عنصر تهديد دائم للأذربيجانيين .

وخلال 1905 – 1907 تمت عمليات تصفية متعددة في باكو وزنكزور وصوصا تنفيذاً لمشروع أرمينيا الكبرى . حيث قامت عصابات من الطاشناق في 1918 وبدعم من البلاشفة بقتل 50 ألف من الأذربيين 20 ألف منهم من منطقة باكو . وقد ذكر القنصل البريطاني في باكو ماك دوول في تقرير له عن الحادث " لم يبق ثمة مسلم في شوارع المدينة غير الجثث " . وفي 1919 – 1920 احتل الأرمن بدعم عسكري روسي أجزاء كبيرة من أذربيجان ، ونظموا تصفية لسكان المنطقة من الأذربيين بعد 70 عاماً من دعم كرملين المخطط للأرمن « استمر الدعم الروسي حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي . حيث تمكن الأرمن بعمليات عسكرية في نهاية الأمر عقب إعلان استقلال أذربيجان عن الاتحاد السوفيتي في 17 تشرين الثاني 1991 » من احتلال 30% من الأراضي الأذربيجانية في 1992 ، وتشريد مليون نسمة من سكانها الذين لا يزالون يعيشون في الخيام . حيث لا تزال مشكلة قره باغ والأراضي الأذربيجانية الأخرى المحتلة من قبل أرمينيا غائبة عن الاهتمام الدولي .



## نحن أهل الدار

العواطف الإنسانية كانت وستظل دائما أكبر وأعمق من أي انتماء حزبي أو قبلي أو طائفي ضيق .  
ما أوجنا الآن إلى هذه العواطف في هذا الزمن العصيب الذي تدخل فيه سفينة الوطن لجة الأعاصير  
والأمواج العاتية .

أي قيمة وثقل للكردى لو عاش بمعزل عن بقية إخوته في الوطن ،الذين يشاركونهم ولا يزال العيش في  
الحي الواحد والمدينة الواحدة متجاورا ومتصاهرا ومتحابا ؟ ..وكذلك الأمر بالنسبة للتركمانى المعروف  
بطبيعته السمحة وسجله الناصع الخالي من البغضاء والعداوة مع أي عراقي في المدن التي يعيش فيها .  
ألم نظل عقودا نعيش في مدننا وأحيائنا لا تهمننا هوية جارنا في الحي ،وأصدقائنا في المدرسة حيث  
كانت مشاعر الود والجوار والصدقة ترفع رايتها البيضاء بيننا تحت سماء من المحبة .

متى كانت جدران برلين التي يروج البعض قائمة بين العربي والكردى والتركمانى والآشورى واليزيدى  
؟ ألم نعش حياة مفتوحة ،مبسوطة ككف منشرحة الأعصاب .

ألم يكن المسيحيون وردة في بستان العراق في أي منطقة عاشوا فيها مع إخوتهم العراقيين في وطنهم  
العراق ، يجاورون بعضهم البعض ويتزاورون في الأعياد . هل خلت حفلة من حفلاتهم أثناء الأعراس  
التي كانت تقام بمنطقتنا (عرفة) في كركوك من أغنية لفريد الأطرش ؟ أو لم تذكرنا (سيتا هاكوبيان)  
دائما بفيروز ؟ .. كنا جميعا كأصابع اليد الواحدة ، ولم يبالغ أحد في خصوصيته الاثنية أو الدينية  
وكانه لم يعيش في العراق قط ، بل هبط عليه من كوكب فضائي ، كما هي الحال عليها اليوم لدى  
البعض.

متى كفت الأنفاس الحرى والدموع من الأمهات التركمانيات ،ومنهن المرحومة أمي ،وهي تستمع إلى  
البحة المحببة في صوت المرحوم ( داخل حسن) ،فتغرق في بحر من دموع ،وهي لا تفقه كلمة واحدة  
من أبودياته . مكتفية بالقول (ان صوته مؤثر جدا) دون أن يخطر في بالها أن تسأل هذا السؤال الثقيل  
على القلب : هل هو سني أم شيعي ؟

لماذا يريد البعض وضع قلوب وعواطف العراقيين في مجمدة الطائفية، بحيث يتصور أصحابها ، أن  
أحدا لا يحزن لشهداء جسر الأئمة ومجازر النجف إلا الشيعة . وان أحدا لا يجب ان يحزن لشهداء  
وقتل تلعفر ومشرديه إلا السنة. !

هل يمكن فصل الشرايين والأنسجة عن الجسد شريانا شريانا ونسجنا نسجنا ،ومع ذلك يظل هذا الجسد  
معافى ؟ .. أليس عارا وخزيا على القلب العراقي ،الذي أمتاز على مر التاريخ بالنبل والشهامة وحب  
الرافدين ، ان لا يحزن ويمتليء قلبه باللوعة والأسى وهو يرى عشرات القتلى  
يسقطون يوميا ،إلا إذا كان الشهيد أو المقتول سنيا أو تركمانيا أو كرديا أو شيعيا أو مسيحيا!

هل تدنت المشاعر في بعض القلوب العراقية إلى هذا الحد ، بحيث أصبح حزننا على قتلاتنا وموتانا يقيم بانتمائهم الطائفي أو الاثني . ألا بنس تلك الطائفية لو كانت تحجر المشاعر الإنسانية إلى هذا الحد . هل توقفت مياه دجلة والفرات يوما عن الجريان أمام قرية أو مدينة ، لأنها شيعية أو سنية أو عربية أو كردية أو تركمانية أو مسيحية ؟ .. متى نتعلم الوفاء من نهرينا الخالدين اللذين يرويان منذ فجر التاريخ أرض وطننا دون كلل ؟ .. ومتى أخفت نخيل العراق ثمارها الطيبات وتوقفت عن الحياة عنادا وعنصرية ، بسبب الهوية الطائفية لمن يريد جني ثمارها المباركة ؟ .. متى أطفأت (بابا كوركور ) نيرانها في كركوك ، وتوقفت عن حمل النار والنور إلى بيوت الوطن بسبب انتماءات أصحابها ؟ ان الذين يستهدفون المساجد والكنائس والأبرياء في الشوارع لا يحبون العراق ، وكذلك الذين تركوا حدوده مفتوحة على مصراعيها لكل من هب ودب .

العراقي أخ للعراقي . الكل في نفس المركب الذي يسير في ليل مدلهم وسط أمواج عاتية . العراقي يجب ان لا يعادي العراقي تحت أي مبرر كان ، فالنار التي تحيط بنا تحرق الجميع دون تمييز . تحرق العربي والكرد والتركمان والآشوري والمسلم والمسيحي . ليس ثمة رايح من هذا المشهد الدموي الرهيب ، ومن يظن أن النار سوف لن تطاله ، سيفطن إلى الحقيقة حتما ، ولات ساعة مندم .

نحن جميعا أهل الدار ، العراق الوطن، دارنا ونحن أصحابها ومن ابسط واجب المواطنة ، التي يريد البعض شطبها بجرة قلم بهدف تعزيز الطائفية والمحاصصة ، المساهمة في ترتيب البيت العراقي وتضميد جروحه ، فلا عنصرية ولا سنة ولا شيعية أو مسلمين أو مسيحيين ، بل عراق موحد ، ديمقراطي ، معافى يحتضن الجميع بلا تمييز .





## مجزرة كركوك في الرفوف العالية للذاكرة التركمانية

لا تزال ذاكرة المثقفين تتذكر ما حل بالمفكر الفرنسي روجيه غارودي بعد نشر كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية) عام ١٩٩٦، والتي ترجمت إلى عشرين لغة خلال شهر واحد، والتي شكك فيه بالعرض والدراسة والتحليل بالأساطير التي تأسست عليها الدولة العبرية ومنها ابادة هتلر لستة ملايين يهودي في غرف الغاز (الهولوكوست).

لم يواجه غارودي الاعتراض والاستنكار والتنديد من قبل المنظمات الإسرائيلية والصهيونية فحسب، بل واجه حملة تنديد واسعة في بلده فرنسا، بلد الحرية والنور والثقافة والديمقراطية. ففي فرنسا التي لا تفرض أية عقوبات على الأفكار التي تشكك بالمسيحية والسيد المسيح وعلى الأفكار الإلحادية، ثمة قانون اسمه (قانون فابيوس - جيسو) يقضي بالسجن لمدة عام وبغرامة مقدارها ٣٠٠ ألف فرنك (قبل استعمال اليورو) ضد كل من يشكك في الادعاءات الصهيونية حول غرف الغاز النازية (الهولوكوست)! بل أن صاحب مكتبة (الديوان) في مدينة جنيف السويسرية تعرض إلى المحاكمة بتهمة عرضه نسخة من كتاب روجيه غارودي (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) في مكتبته!

كما أن الإخوة الأكراد بدورهم، يحرصون من خلال منظمات ومراكز في الداخل والخارج على إحياء ذكرى مجزرة حلبجة كل عام، وهم لا يتوانون من توجيه شتى اتهامات العمالة ونعوت الخيانة، ضد كل من يطرح رأياً مخالفا لظروحاتهم الرسمية حول موضوع حلبجة .

أما الدمعة التي يذرفها كل تركماني في ذكرى مجزرة كركوك في ١٤ تموز ١٩٥٩، فإنها تثير قلق البعض كل عام، وتخلق لهم حالة من الأرق والتشنج .

هذا البعض يحاول جاهدا حتى بعد مرور ٤٥ عاما على أبشع مجزرة تعرض لها شعبنا، القول أن التركمان يبالبغون في الأمر وان عليهم نسيان الماضي. بل تبلغ الوقاحة ببعضهم إلى محاولة تبييض صفحة المجرمين الذين تم إعدامهم على أساس أن ما حدث كانت نتيجة مؤامرة شارك فيها عملاء بريطانيا في شركة النفط، محاولين إصاق التهمة بعدو وهمي، دبر مجزرة كركوك ثم اختفى بقدره قادر عن مسرح الجريمة دون أن يقبض على واحد من أفراد هذه الجريمة المنظمة!! متجاهلين عن عمد بأنه تم القبض على القتلة زمن عبدالكريم قاسم، وأعدموا فيما بعد. رغم هذه الحقيقة الدامغة، فالمجرمون في نظر هؤلاء أبرياء براءة الذئب من دم ابن يعقوب!

هؤلاء لا يكدعون إلا أنفسهم، فكل من عاش في كركوك في تلك الفترة المظلمة هو شاهد إثبات يعرف عن كتب الضحية والجلاد. وهم يتناسون أيضا أن المجزرة قد صورت وهناك فيلم وثائقي يبلغ مدته حوالي نصف ساعة ناطق ببشاعة بهذه الأحداث الدامية يظهر المجرمون ويظهر الضحايا وهم يخرجون

من بيوتهم تحت تهديد المسلحين أو يسحلون في الشوارع، عرض هذا الفيلم الوثائقي في السينمات بركوك عام ١٩٥٩ (شاهدته شخصيا في سينما العلمين).

ويبقى العثور على هذه الوثيقة المصورة التي أعدتها وزارة الدفاع (كما أظن) والاحتفاظ بها في الأرشيف كشاهد حي لفترة مظلمة، يؤرخ أبشع فترة سياسية مر بها التركمان في العراق، من مهمة الجهات الإعلامية التركمانية .

التركمان لا يملكون سطوة كسطوة الإسرائيليين، ولا سطوة الإخوة الأكراد المالية والإعلامية والسياسية للنيل من المتشككين في جريمة ابادة لها أكثر من ألف شاهد. فهم لا يملكون إلا دموعا سخية تنحدر من المآقي وفاء واستذكارا للذكرى العطرة لشهدائهم الأبرار .

لكن حتى هذه الدموع، تزعج وتثير البعض وتقلقهم وتؤرق مضجعهم رغم مرور ٤٥ عاما على المأساة التي عايشنا أحداثها الدامية صغارا وكبارا .

ومثلما لا يمكن لليهود أن ينسوا (الهولوكوست)، وللأخوة الأكراد أن ينسوا (حلبجة)، فان للتركمان الحق في الاحتفاظ بذكرى(مجزرة كركوك) البشعة في الرفوف العالية من ذاكرتهم وذاكرة أجيالهم المقبلة .

## جاندار، الطالباني ونموذج بروكسل

جنكيز جاندار صحفي تركي من مواليد أنقرة ١٩٤٨، كان رئيساً لحركة الشباب اليسارية في ١٩٦٨ بكلية العلوم السياسية. عمل بعد تخرجه ١٩٧٠ كمعيد في نفس الكلية لفترة قليلة . غادر تركيا في نفس العام للانضمام إلى حركة المقاومة الفلسطينية، حيث عاش في بيروت لعدة سنوات، ارتبط خلالها بعلاقات وثيقة بياسر عرفات . انتقل بعدها لاجناً سياسياً في جنيف وباريس وستوكهولم . عاد إلى تركيا في ١٩٧٤ . حيث عمل في بعض الصحف منها : وطن، جمهوريت، كونش، حریت صباح . يعمل حالياً في جريدة ترجمان . عين في الفترة من ١٩٩١ – ١٩٩٣ كمستشار خاص للرئيس التركي الأسبق تورغوت أوزال . عمل في ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ في مركز الأبحاث الأمريكية بواشنطن حيث أعد دراسة بعنوان " تركيا في القرن الحادي والعشرين " . يعتبر حالياً أحد أهم الخبراء الاستراتيجيين في شؤون الشرق الأوسط وله صلات قريبة مع كبريات الصحف الأمريكية ومراكز القرار الأمريكي، وهو من المؤيدين للقضية الكردية ومن الأصدقاء المقربين إلى الطالباني والبرزاني على حد سواء .

يعود تاريخ تعرف جنكيز جاندار على جلال الطالباني إلى عام ١٩٧٣ في بيروت، التقيا بعد ذلك ١٩٩١ مرات عديدة وفي أماكن مختلفة أنقرة، استانبول، واشنطن وفي الأشهر الأخيرة السليمانية وبغداد . تناول الطالباني العشاء معه العشاء ثلاث مرات خلال زيارته الأخيرة مما يكشف حجم العلاقات الودية بين الطرفين .

ينقل جاندار في مقاله المعنون – مع الطالباني – (صحيفة ترجمان ٧/١٠) عن رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني بأنه ناقش مع المسؤولين الأتراك (وضع كركوك)، وقد كرر موقفه حول الموضوع في برنامج (مانشيت) الذي يقدمه الصحفي المعروف محمد علي براند من تلفزيون CCN-Turk الذي أعلن فيه الطالباني أنه إلى جانب إعادة وضع مدينة كركوك إلى ما كان عليه سابقاً قبل تطبيق صدام فيها " حملة التصفية العرقية " . كما أنه لم يتحدث عن أية صيغة فدرالية تضم كركوك (أو يذكر بأنها مدينة لكردستانية) معلناً عن تأييده لإقامة (إدارة خاصة) تحت إشراف تركماني، عربي، كردي مشترك أي ما يشبه (حسب تعبير الطالباني) بنموذج بروكسل . مشيراً إلى ضرورة ترك الصيغة النهائية لمواطني كركوك منبهاً إلى أن ذلك لا يعني إجراء استفتاء شعبي حول إدارة المدينة .

لم يكتف الطالباني الذي وصف زيارته لتركيا مع السيدة عقيلته، بأنها زيارة للراحة والاستجمام، بمقابلة جاندار بل التقى في فندق هيلتون باستانبول مع أحمد أوزال (نجل الرئيس الأسبق تورغوت أوزال) مركز الطالباني خلالها على وحدة الأراضي العراقية . وفي حديث أجراه الصحفي مراد جليك (صحيفة ترجمان ٧/١١) مع أحمد أوزال حول لقائه مع زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني قال أوزال : ((شخصياً كنت أعتقد أنه سيحدثني عن الاستقلال أو الحكم الذاتي للأكراد على أقل تقدير إلا أنه فضل الحديث عن وحدة التراب العراقي)) وذكر أوزال أنه سأل الطالباني عن احتمالات هل سيطرة الشيعة

على الحكم على ضوء الواقع السكاني في العراق . فرد عليه الطالباني ان كل الفئات ستشارك من أجل العراق الموحد في الحكومة المركزية المقبلة . وأن ذلك سيكون من مصلحة العراق . وقال أيضا انه (أي الطالباني) يقدر شخصية تورغوت اوزال ويعتبرها شخصية مهمة جدا. وأن اوزال لو كان حيا يبرز الآن لما كانت الأوضاع في الشرق الأوسط، وعلاقات تركيا مع الاتحاد الأوربي على ما هي عليه الآن . ولكانت تركيا نفسها في وضع آخر .

وعودة إلى موضوع تطبيق نموذج بروكسل لإدارة مدينة كركوك نشرت صحيفة (زمان ٧/١٣) ان الوفد التركي الذي زار مدينة كركوك مؤخرا برئاسة السفير أدهم طوكدمير قد أعلن بأن ((المسؤولون الأكراد أبدوا موافقتهم على تطبيق نموذج بروكسل لإدارة المدينة . وان الجانب التركي له موقف مشابه من الموضوع .)).

الجدير بالذكر ان الصحفي جنكيز جاندار زار الطالباني والبرزاني عدة مرات في فترات متفاوتة، كما أنه زار السليمانية وأربيل وكركوك عدة مرات . وهو أول من طرح فكرة نموذج بروكسل لإدارة مدينة كركوك، دون أن ينسى القول ان كركوك حتى بصورتها الراهنة هي مدينة ذات خصوصية تركمانية وأنه لاحظ ذلك من خلال زيارته العديدة لها ، وان تشبث الإعلام الكردي برأي الكاتب العثماني شمس الدين سامي حول كردية المدينة ادعاء ضعيف لا مسند له وهو الرأي الذي توصل إليه بعد مراجعته كما هائلا من المصادر للوقوف على ما يؤيد الادعاءات الكردية، مشيرا إلى أنه حتى الأكراد تخلوا عن القول بأنها مدينة كردية على ضوء هذا الواقع وبدأ إعلامهم بطرح أنها كردستانية ، ويقول جاندار أن أفضل من كتب عن الواقع الأتني لكركوك وتحدث بالوثائق والإحصائيات عن خصوصيتها التركمانية هو الباحث المعروف حنا بطاطو في كتابه الهام (العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية) الذي يعتبر مصدرًا أساسيا لأي باحث أو كاتب في تاريخ العراق .

في مقال له بعنوان (درس كركوك) ذكر جاندار رغم كل شيء لا يزال التركمان يشكلون غالبية السكان في كركوك . وأن أي حل لا يأخذ هذه الخصوصية بنظر الاعتبار سيولد ميتا ومحكوما عليه بالفشل مسبقا، واقترح أن حل الإشكالية يكمن في تطبيق نموذج بروكسل (جريدة ترجمان ٢/١/٢٠٠٤) . وبذلك يعتبر جنكيز جاندار، أول من طرح هذا المبدأ قبل اهتمام الجهات التركية والكردية بها. ثمة أشياء أخرى ذكراها جاندار وتحققت فهو أول من قال بأن هوشيار زيباري سيتولى حقيبة الخارجية في الحكومة العراقية، وأن برهم صالح سيعين كمبعوث دائم للعراق في الأمم المتحدة قبل أن يلوح في الأفق أي إشارة لمثل هذا الاحتمال في الفترة التي كتب فيها ذلك .

بلجيكا التي عرفت بـ (نموذج بروكسل) تتألف من ثلاث مناطق يسكنها ثلاث قوميات : الفلامان، الفانون والألمان حيث يمثل الجميع في المؤسسات السياسية والإدارية والثقافية تمثيلا متساويا .



## فتح الله كركوكلي وصور تأبى أن تغادر الذاكرة

مسيرة العمر، مزدحمة بذكرى مناضلين، تحتل صورهم الصدارة في القلب والروح. في مقدمتهم، صورة الشهيد الطيار آيدن مصطفى، الذي قضى عامين طالبا في كلية الإدارة والاقتصاد بأربيل (وهو برتبة عقيد)، ولقاءاتي معه، ورحلتنا سوية بسيارته إلى بغداد، حدثني خلالها الكثير عن حياته ونضاله واعتزازه بتركمانيته. وكان لقائى الأخير معه في بيته بكركوك بعد عودته من دورة للطيران في أذربيجان قبل إعدامه. علمت فيما بعد من الأخ والصدیق العزیز البروفیسور الدكتور سعد الدين أرگیج (خال زوجة الشهيد) أن جلاوزة الأمن قد أبلغوا زوجته أن عليها أن تهبئ البيت لأن زوجها عائد بعد غياب ستة أشهر إلى داره. في صباح اليوم الموعود وكانت قد أعدت طفلتيها لتكونا في استقبال والدهما، فوجئت زوجته، بوصول جثمانه داخل تابوت. أذهلتها المفاجأة فما كان منها إلا أن فتحت غطاء التابوت وصرخت بطفلتيها :

— تعالا وانظرا ماذا فعل صدام بوالديكما. تعالا وانظرا ولا تنسيا ذلك أبدا !

لا أزال أتذكر صورة أزل عبدالرزاق، الذي حكم بالسجن عشر سنوات بسبب وشاية أقرب المقربين إليه، بحجة انتقاده عند تمتعه بالإجازة العسكرية القدرة القتالية للدبابات العراقية في الحرب مع إيران. ، خلال مشاهدته مع أعز أصدقائه برنامج (صور من المعركة)، ففضى عشر نوات من عمره في سجن (أبو غريب) بسبب ذلك .

كما أتذكر صورة صباح عزيز و زميله نجم الدين قصاب اللذين سجنا بنفس المعتقل لمدة عشر سنوات أيضا. وصورة سعدون كوپرلو الذي قضى عشرين عاما في السجن دون أن يستفيد أي منهم من قرارات العفو، التي أعتاد صدام على إصدارها بين فترة وأخرى، حيث كان يستثنى منها التركمان الذين اعتادوا على إنهاء فترة محكومياتهم كاملة دون نقصان .

وفي الذاكرة صورة شاهين قصاب، الذي وشى به أيضا أقرب المقربين مشجعا إياه على الفرار من العسكرية ومن العراق، وبعد أن أقتعه بذلك وشى به لدى الأمن، فتم إلقاء القبض عليه قبل أن يركب سيارة الأجرة من أمام منزله، حيث حكم بالإعدام من قبل محكمة الثورة. و صورة صديق العمر الشاعر عصمت اوزجان، الذي عذب في معتقلات بغداد وتم ربطه بواسطة كامشات على السقف لفترات استمرت عدة أشهر. فنتج عن حالته تقيح الكوعين وشلل مؤقت في اليدين. ثم نفي إلى أربيل. حيث ظل عاشقا لمدينته وتراث شعبه وهويته الوطنية حتى آخر لحظات عمره. وصورة محمد علي آيدن الذي عذبه المجرمون باستخدام الكلاب لتنف لحيته وهم يصرخون ويضحكون على آلامه بوحشية ويشتمونه ويصفونه بأقبح الألفاظ .

وفي الذهن، الصورة التي ذكرها لي جنكيز محمد نعمت عن ابن عمه اتيللا أحمد نعمت، وإعدامه، وتسليم جثته إلى ذويه بعد ستة أشهر من تنفيذ الإعدام به، فأمر الإمام بدفنها دون غسلها لتفسخ الجثة تماما، وقد انفصل قدمه عن ساقه أثناء إنزال جثته إلى القبر، فدفنت معه إلى جانب جثته !

فتح الله كركوكلي

لكن ثمة صورة متعلقة في ذهني، تأبى أن تنطفئ أو تختفي رغم السنين. قصة ذكرها لي أحد أقارب القائد عمر علي بطل معركة جنين، في معسكر سيلوبي بتركيا، التي قضيت فيه عاما مع أفراد أسرتي، أتذكر شخصيا هذه القصة بأسى وشجن .

قال لي :

في طفولتي كنت أرافق أبي زيارته لدارة (عمر علي) قائد القطعات العراقية في قاطع جنين بفلسطين عام ١٩٤٨، وكان يرافقتنا أحيانا (عبدالكريم كوله من، المطرب فيما بعد) الذي خدم في قوات عمر علي ككاتب ضابط . ونظرا لرخامة صوته فقد أختاره القائد كمؤذن، وكمنشد للأناشيد الحماسية لإثارة همّة المقاتلين. ما أذكره من تلك الأيام أيضا، وجود صورة كبيرة معلقة في غرفته للزعيم الفلسطيني عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل .

من ضمن الروايات المؤثرة التي كان يرويها لأبي، قصة لقائه بالشاويش الكركوكلي في القدس، ولهذا اللقاء قصة شجية لا تزال أتأثر كلما تذكرتها :

في زيارة لعمر علي مع بعض ضباطه إلى مسجد الأقصى لصلاة الجمعة استرعى انتباهه وجود رجل كهل بملابس رثة، يمشي جيئة وذهابا قرب جدران المسجد، مرفوع الهامة. وحينما سأله عنه قالوا، أنه محارب عراقي يطلق عليه أهل القدس اسم (الكركوكلي) لكونه من مدينة كركوك. وهو لا يزال يعتقد بأنه شاويش في الجيش العثماني. حيث انه فضل البقاء في القدس ولم يعد إلى بلده العراق .

بعد خروج عمر علي من المسجد توجه نحو الكهل، وما أن رأى الرجل العجوز عمر علي مقبلا نحوه وهو يلبس ملابس عسكرية. حتى وقف أمامه مؤدبا له التحية العسكرية ومقدما نفسه :

— الشاويش فتح الله كركوكلي سيدي . . !

بش عمر علي في وجهه قائلا :

هل تحتاج إلى شيء يا عمي؟

وأناه الجواب كالصاعقة باللغة التركمانية :

— باشام! أرجو أن تقول لقائدي برهان الدين باشا قائد فرقة المشاة في الكتيبة (الفلانية)، إنني لا أزال أقوم بواجبي كالعادة في حراسة المسجد الأقصى !



اغرورقت عينا عمر علي بالدموع أمام منظر هذا الرجل الذي توقف الزمان في ذهنه، لكن الشعور الوطني بأداء واجبه العسكري، والذي يلتزم به من طلوع الشمس حتى مغيبها كل يوم دون كلل، في حراسة المسجد الأقصى لم يزل نابضا وحيًا، رغم مرور عقود على انتهاء الحرب العالمية الأولى . .

التركمان الذين يحبون لغتهم وتراثهم وهويتهم الوطنية، يحبون العراق. ولنا في سير شهدائنا ومناضلينا عشرات القصص التي تؤرخ وتوثق هذا الحب العميق



## كركوك في القلب

حاشا أن أدير لك ظهري. أن أقول (وداعا)، بل أقول إلى اللقاء دائما حتى في آخر حشرجات العمر. لن تسقطي من تقاويم حياتنا. أوراقتك لن تصل إلى القاع بل ستصل إلى عشاقك. أنت الفراشة التي تعيش على لهب (بابا كركر) في تحنان ومحبة، لم تحرقك نيرانها التي أحرقت كل الطغاة. ترتدين قميص النار، وترجعين للمرة المليون أكثر ألقا. وللمرة المليون ستأتين وتمسحين من جبين شوارحك وأزقتك الوفية آثار الرماد، ومن جبين أبنائك ظلال الغدر .

آه يا حجارة الصبر العتيد التي هزمت غاباتها كل القبط الوحشية، كي يعود العصفور الضائع إلى عشه. كركوك، ريحانة الحزن، ينبوع التاريخ، دفتر الشعر الذي لم يكتمل بعد. مدينة النار والنور التي تسبح في ظلام دامس، الحكمة في يد المجانين، باب القلب والروح، الذي سقط على أعتابها الغزاة والطغاة. يغادرها قطار الحزن، ليعود إليها من جديد في كل مرة .

مر الأسكندر من قلعتك وعاد من حيث أتى ككل الغزاة. كنت زهرة الختمي التي أطلت على عبوس الروح عبر التاريخ، العربة السومرية التي تحمل على رقمها في (بورغان تيه) و (نوزي) طلاسم الشجن والحضارة والشعر والمحبة .

نصف قرن وأنت في رنتي وعيني وشرايبيني. تنتنفسين في قصاندي، في قصصي، وفي ثرثراتي اليومية، في ليلى ونهاري، في المنام والصحوة، في الجهات الأربع، في أرق عذابات منتصف الليل، في نهاراتي التي استمرت ألف عام في أربيل، في قلقي الذي كان لاينام وأنا بلا إقامة في تركيا، في الصباحات الهائلة في سويسرا وأنا مواطن بلا وطن.. أشهد إني وفيت لك .

لم أذكرك بسوء للجبل والشجر والنهر والطير وشرطة الحدود. أغمضت عليك عيني في ليال العذابات التي انهالت فيها الصواريخ وقنابل الموت على وطني. عاداك صدام كما عاد كل ما هو شريف ونبيل في وطني. ذهب هو كالأخرين و ظللت مرفوعة الرأس، وأنت تزفين شهدائك إلى أعواد المشانق .

لم أفرط بك. هل يفرط الابن بأمه؟.. لم أبعك. هل يبيع الإنسان عرضه؟ لم أحنك، أيخون تاريخه؟

أشهد انك مدينة السلام

أشهد انك الأم الرؤوم

أشهد انك الباقية رغم شهادات الزور

أشهد انك المبتسمة في ليل الأحزان .

لن يخفت (الخوريات) في شوارحك ولن تدبل أصداء (رشيد كوله رضا) الذي انطلق في زمن ما إلى الأبدية من أعتابك تروي حكاية زمن لن ينقضي. سيلتقي العشاق قبالة (القشلة) ليحكوا لـ (القلعة) معاناة (القورية) في هدوء الليل رغم عواصف الحزن وغدر بنادق اللصوص. أقسم عشاقك أن لا

بصمتوا. في ربيع آذار ونيسان يشهق في أعطافك صوت التاريخ، ويهرب الغزاة من كهف إلى كهف.  
وتطلين أنت تحملين أشلاء الحقائق، وتلقين بقبلة دافنة على جبين كل يتيم .  
أخيط لأعراسك ثوبا جديدا ،أنام تحت عباةتك التي تسع لكل الحزاني، في انتظار النهار الذي طال  
انتظار وطني له طويلا .